ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٣٥) - اعرف امامك (ج٣٤)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(28)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٤)
الشأن (٢) - اركان عقيدة التوحيد (ج٣)
الركن (١): التوحيد في آفق ما قبل الحقيقة المحمدية (ق٢)
-شرح مناجاة العارفين
-دعاء عرفه
الاثنين : ٤/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ١٧/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في الجزء الأول من (الكافي الشريف)، لشيخنا الكليني رحمةُ الله عليه، المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة / صفحة (١٠٤)، (بابُ إطلاقِ القولِ بأنَّهُ شيء)، بأنَّ الله شيء، إنَّنا نَصفُ الله بأنَّهُ شيء ولكن لا كالأشياء الَّتي خلقها، فهو خُلُوٌّ من خلقه وخلقهُ خُلُوٌّ منه.
صفحة (١٠٥)، الحديثُ السادس من الباب الَّذي أشرتُ إلى عنوانه، حديثٌ طويلٌ: **بِسنده، عَن هِشَامِ بنِ الحَكَم، عَن إِمَامنا الصَّادقِ صلواتُ الله عليه** - يُحدِّثنا هشام بن الحكم عن محاورة فيما بينَ زنديقٍ من الزنادقة وبين إمامنا الصادق، الحديثُ طويلٌ ولأجلِ اختصار المطالبِ سأذهبُ إلى جانبٍ من الحديثِ الشريف، والمرادُ من الزنديقِ هو ما يُصطلحُ عليهِ في زماننا (الملحد)، يقولون عنهم (مَلاحدة)، في زمن الإمام الصّادقِ يقولون عنهم (زنادقة) ، فمُلحدٌ بحسب الاصطلاح المعاصرِ في أيَّامنا هذه يُحاورُ الإمام الصَّادق في موضوع التوحيد في موضوع الألوهية، في الصفحة السادسة بعد المئة: **قَالَ لَهُ السَّائل** - هذا الملحدُ يقول لإمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه - **قَالَ لَهُ السَّائل: فَقَد حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَه؟** - فهذا الَّذي يُحاورُ الإمام الصَّادق بعدَ الكلام المتقدِّم حيثُ أثْبَتَ الإمامُ الصَّادقُ وجود الله لهذا الَّذي يحاورهُ، فماذا قالَ السائلُ بعدَ أن ساقَ إمامنا الصَّادقُ ما ساقَ من حديثٍ ومن بيانٍ أثبت من خلاله وجودهُ سبحانهُ وتعالى؟ هكذا قال السائلُ لإمامنا الصّادق: **فَقَد حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَهُ؟** - فكأنَّهُ يقولُ للإمام الصَّادقِ مَن أنَّك قد وقعت في تناقضٍ، ما هو هذا التناقض؟ باعتبارِ أنَّ الإمام الصَّادق قد بَيَّنَ لـمُحاوره من أنَّ الله لا حدود لهُ، لا حدَّ لوصفه وأثبت لهُ وُجودهُ، فمن جهة الإمامُ الصَّادقُ بَيَّنَ في كلامه من أنَّهُ لا حدودَ لله، لا حدود لصفاته، لا نستطيعُ بمحدوديةِ إدراكنا أن نضعَ حدَّاً لجمالِ الله وجلاله وكماله وعظمته، فمن هذه الجهة ليسَ هناكَ من حدود لله سُبحانهُ وتعالى، الإمامُ بيَّن هذه الحقيقة، وهذه الحقيقةُ مرّت علينا في خطبةِ الأمير في الحلقة الماضية، وأثْبَتَ في الوقتِ نفسه إمامنا الصَّادقُ لمحاوره هذا أثبت وجود الله، فهنا يقولُ السائلُ لإمامنا الصّادقِ: **فَقَد حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَهُ؟** - من جهة تنفي الحدودَ عنه، ومن جهة تُثبتُ وجودهُ، فإنَّك حينَ أثبتَّ وُجودهُ قد جعلتَ لهُ حداً.
فَقَد حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَه؟ قَالَ أَبُو عَبد الله - قالَ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **لَم أَحُدَّهُ وَلَكِنِّي أَثْبَتُّهُ** - فكرةٌ عميقةٌ في أصلِ عقيدتنا التوحيدية، ثُمّ يفرعِ الإمام فيقول: **إِذْ لَم يَكُن بَينَ النَّفي وَالإِثْبَات مَنْزِلَة** - الإثبات إثباتُ وجوده، والنَّفيِ نفيّ وجوده، فحينما ألغينا النَّفي بحسبِ الحوارِ المتقدِّم، بقي الإثبات فلا يوجدُ شيء ثالث، بحسب المنطق السليم للتفكير، فإمّا أن يكونَ موجوداً وإمّا أن يكونَ ليس موجوداً.
لَم أَحُدَّهُ - إنَّني ما وضعتُ حدَّاً لله بحسبِ الموازينِ الإدراكيةِ البشرية الَّتي نمتلكها ليس هناك من حدٍّ لهُ - **لَم أَحُدَّهُ وَلَكِنِّي أَثْبَتُّهُ** - أثبتَّ وجودهُ، وتلك هي الشيئيةُ.
فشيء؛ تعني موجود.
والشيئيةُ؛ تعني الوجود.
وتشيّأت الأشياء؛ يعني تحقَّق وجودها.
من هنا فإنّنا في ثقافة العترة الطاهرة نقولُ عن اللهِ شيء، ولكن ليس كالأشياء، الأشياءُ خلقهُ وهو شيءٌ خُلُوٌّ من سائرِ الأشياء، كما أنَّ الأشياء خليةٌ منهُ سُبحانهُ وتعالى.
قَالَ لَهُ - السائلُ الَّذي يحاورُ الإمام الصَّادق صلواتُ اللهِ عليه - **فَلَهُ إِنِيَّةٌ وَمَائِيَّةٌ؟** - أنا لا أريدُ أن أذهب بكم إلى مصطلحات الفلاسفة، لكنَّ هذا الكلام ما هو ببعيدٍ عن مُصطلحات الفلاسفة.
فإنَّ الفلاسفة حينَ يتحدَّثون عن إنِيَّة الشيء: يتحدَّثون عن شيئيته ويكونُ الكلامُ في ذاتياته في مُكوّناته الذاتية.
وحين يتحدَّثون عن المائيةِ والَّتي تُعرَفُ بالماهية: والماهيةُ في الفلسفةِ ما وقع في جواب: (مَا هو)، ولذَا فإنَّهم في الفلسفةِ المشائية مثلاً يقولون: من أنَّهُ لا ماهية لله.
بينما إمامنا الصّادقُ يقولُ: من أنَّ مائيةً لله سبحانهُ وتعالى، لماذا؟
لأنَّ الماهية في الاصطلاح الفلسفي ما وقعَ في جوابِ: (ما هو)، ما الَّذي يقعُ في جواب ما هو عند الفلاسفة وعند المناطقة؟ ما يُسمَّى بالحدود والرسوم، يعني التعاريف، الحدود والرسوم منها حدودٌ تامة، منها حدودٌ ناقصة، منها رسومٌ تامة، منها رسومٌ ناقصة، ما يُسمَّى بالحدودِ والرسوم يعني التعاريف، تلكَ التعاريفُ عند الفلاسفةِ وعندَ المناطقةِ لها شرائطها؛
- فهناك تعاريفٌ بالذاتياتِ فقط.

- هناك تعاريف بالذاتيات والعرضيات.
وهذا ما لا يُمكنُ أن ينطبق على الله، من هنا فإنَّهم يقولون: (لا ماهية لله)، ولا أريدُ أن أتعبكم بهذه التفاصيل..
قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَهُ إِنِيَّةٌ وَمَائِيَةٌ؟ - إنيةٌ حينما نتحدَّثُ عن شيءٍ فنقول إنَّهُ كذا وكذا، هذا المرادُ من الإنيَّة هنا، فحينما يُسألُ مثلاً عن التمر؟ فنقول: إنَّ التمرَ فاكهةٌ تُ نتجها الشجرةُ الفلانية، تُنتجها النخلةُ، وهي حلوةٌ أوصافها خصائصها كذا، هذه هي إنيَّةُ التمر، الإنيّةُ ما يأتي من بيانٍ عن حقيقة شيءٍ بعدَ أن نُؤكِّدَ تلكَ الحقيقةَ بقولنا (إنّهُ)، فـــ(إنَّ) تكون للابتداء بالكلام لأجلِ تأكيد ما بعدها، فسيكون ما بعدها مُؤكَّداً - **قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَهُ** - لله - **إِنِيَّةٌ وَمَائِيَةٌ؟** - ما وقع في جوابِ: (ما هو هذا الشيء)، ما الَّذي تقصدهُ، فحينما أقول: الله، ما هو الله؟ أو ما الَّذي تقصدُ حينما تقول: (الله)؟ ما يقعُ في جوابِ (ما) للاستفهام، هذه هي المائية..
قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَهُ إِنِيَّةٌ وَمَائِيَةٌ؟ قَالَ: نَعَم - ثُمَّ يُبَيِّنُ الإمام: **لَا يُثْبَتُ الشَّيء إِلَّا بِإِنِيَّة وَمَائِية** - فإنَّنا نملكُ إخبارات عنه، نستطيعُ أن نُخبر عن الله سبحانهُ وتعالى، نصفهُ بما وصَفهُ المعصوم، فتلك هي إنيتهُ ومائيتهُ، يعني أنَّنا نستطيعُ أنَ نُخبرَ عنه، أن نتحدَّثَ عنه، فالشيءُ الَّذي لا إنيّة لهُ ولا مائية لهُ هوَ الشيءُ الَّذي لا نستطيعُ أن نُخبرَ عنه، وبالتالي لن يكون موجوداً، لن يكون مُثبتاً، فالشيءُ الموجودُ والمثبتُ هوَ الَّذي نستطيعُ أن نُشيرَ إليه بأيِّ لونٍ م ن ألوان الإشارات، نستطيعُ أن نُخبر عنه بأيِّ مستوىً من مستويات الإخبارات، كما نعتقدُ من أنَّ وصفهُ هوَ الوصفُ الَّذي يأتينا من المعصوم وقطعاً هذا الوصف الَّذي يأتينا من المعصوم لا بمستوى معرفة المعصوم لله، وإنَّما بمستوى معرفتنا نحنُ، معرفةُ المعصوم لله لا تستطيعُ اللغةُ أن تُحيط بها، لكنَّ المعصوم يُحدِّثنا بحسبِ قدرة اللغة على التفهيم، وبحسبِ قُدرة عُقولنا على التلقي، من هنا كان الوصفُ لَابُدَّ أن يكون مأخوذاً منهُ، وهذا هو مضمونُ بيعة الغدير، فالقُرآنُ لا يؤخذُ تفسيرهُ إلَّا منهم وهذا هو مَضمونُ بيعة الغدير - **قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَه كَيفِيَّةٌ؟** - فإذا كانَ لله من إنيّة ومن مائية - **فَلَهُ كَيفِيَّةٌ؟** - والكيفيةُ هو أيضاً ما يقعُ من إخبارٍ لـ(كيفَ)، كيف هو، كيفَ هُو بحسبِ مداركنا البشرية لا كيفية له، لكنَّ أهل البيتَ يُثبتون كيفيةً لله لا كالكيفية الَّتي تقعُ في جوابِ السؤال بكيفَ، بحدود مداركنا العقلية البشرية - **قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَه كَيفِيَّةٌ؟** - ماذا قال الصَّادقُ؟ - **قَالَ: لَا** - لماذا يا ابن رسول الله؟ - **لأنَّ الكَيفِيَّة جِهَةُ الصِّفَة وَالإِحَاطَة** - فحينما تكونُ العقولُ مُشخِّصةً لصفَة في جهة معينة ولصورة في أذهاننا محيطة بحدوده فلقد حَدَدْنَا الله، ونحنُ لا نستطيعُ أن نَحدّهُ، نحنُ نُثْبتهُ، نتحدَّثُ عن إنيّته ومائيته بحسبِ ما يصفُ لنا المعصومَ، أنا لا أعرفُ الله، لو كُنتُ قادراً على معرفة الله إذاً لماذا بَعَثَ اللهُ إلِيّ الرُّسُل؟! لو كانَ النَّاسُ قادرين أن يَعرفوا الله لماذا بعث الله إليهم الرُّسُل؟ ولماذا كُلُّ هذه التصاريف الَّتي جرت على الرُّسُل قبلَ بعثتهم، وفي بعثتهم، وما جرى بعد بعثتهم، والَّذي جرى ما جرى في تاريخ البشرية الطويل، إذا كانَ البشرَ قادرينَ أ ن يتواصلوا مع الله بشكلٍ مباشر لماذا بعثَ إليهم بالرّسل؟ ولماذا جاءَ الرُّسُلُ كي يُثيروا دفائن العُقول، إثارةُ دفائن العقول هذا يعني أنَّ الإنسانَ يمتلكُ جُذوراً يستطيعُ على أساسها إذا ما عُلِّمَ وأُرشِدَ، ونزلت الكُتب، وجاءت الملائكةُ بالوحي، وأقامَ الأنبياءُ المعاجز، وشُرِّع الدين، والتزم النَّاسُ بأحكام الدين، وتمسَّكوا بالعباداتِ والطقوس، وجرتَ الأمور كما خُطِّط لها فبإمكانِ النَّاسِ أن يعرفوا الله، وإلَّا لو كانَ الإنسانُ من دونِ كُلِّ ذلكَ قادراً على أن يعرف الله فبعثةُ الرُّسُل ستكونُ لغواً ستكونُ خلافاً للحكمة، إنَّها مُجرَّدُ تعقيدٍ لحياة البشر، أناسٌ يأتون يقولون إنَّنا نتحدَّثُ عن الله، والنَّاسُ ما كانت قد رأت ربَّها بأعينها، أناسٌ يأتون فيدَّعون مَا يدَّعون، وإن كانوا بعد ذلكَ يُثبتون ادّعاءاتهم بالحقائقِ الواضحة، لكن ليس في كُلِّ وقتٍ حتَّى هذه الإثباتات، المعجزاتُ لا تصدرُ عن الأنبياء في كُلِّ وقت، وحتَّى مع صدور المعجزات والآيات البيِّنات فأكثرُ البشرِ لا يؤمنوا، فلو كانَ البشرَ بإمكانهم أنَ يعرفوا اللهَ سُبحانهُ وتعالى المعرفةَ الصَحيحة لَمَا بَعَثَ الله الرُسل والأنبياء ولَمَا نَصَبَ الأئِمَّةَ والأوصياء ولَمَا بعثَ الكُتب ولَمَا ولَمَا ولَمَا.
وَلَكن لابُدَّ منَ الخُروج من جِهَة التَعْطيل وَالتَشْبيه - ما المرادُ من التعطيل؟ وما المرادُ من التشبيه؟
التعطيلُ: هو ما يعتقدهُ المعطِّلون، هناكَ من الَّذين تحدَّثوا عن الله، وتحدَّثوا في الله، واعتقدوا بالتعطيل، فهم المعطِّلةُ، هم المعطِّلون، هذا مصطلحٌ، ما المراد من التعطيل؟ الَّذين أثبتوا وجود الله ونفوا عنهُ كُلَّ صفة، لم يصفوهُ بوصف، ما أثبتوا لهُ صفةً من الصفات مُطلقاً، هؤلاء هم المعطِّلة.
نحنُ حين ننفي الصِ فة عنه؛ ننفي الصفة بحدود مداركنا العقلية، أمَّا حينما يصفهُ المَعصوم العارفُ بالله ونحن مُتأكِّدون من معرفته بالله ومُتأكِّدون من علمه وحكمته وعصمته وصدقه فإنَّنا سنُسَلِّمُ لمَا يقول، هذا هو توحيدُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.
أمَّا المشبَهَةُ: من أَبرزِ مصاديقهم فهم أتباعُ سقيفة بَني ساعدة، في الأزمنة القديمة يُمكنني أن أقول من أنَّهم أجمع كانوا من المشبِّهة، ولكن في زماننا هذا اختلف أمرهم وتغيرت عقائدهم عبر الزمن، المشبهةُ هم الَّذين يصفون اللهَ بأوصاف هي كأوصاف المخلوقين.
فالإمامُ الصَّادقُ يقول من أنَّ الله ليس لَهُ من كيفية، لماذا؟: **لأنَّ الكَيفِيَّة جِهَةُ الصِّفَة وَالإِحَاطَة وَلَكن لَابُدَّ منَ الخُروج من جِهَة التَعْطيل وَالتَشْبيه** - فنحنُ حينما ننفي الكيفية لا ننفي الكيفية مُطلقاً، وإنَّما ننفي الكيفية الَّتي يذهبُ إليها المشبهون، لأنَّنا إذا نفينا الكيفية مطلقاً فقد أصبحنا من المعطِّلين وتوحيدُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد توحيدٌ بعيدٌ عن التعطيل وعن التشبيه، قد يقولُ المخالفون لآل مُحَمَّد من أنَّ توحيدهم هكذا، ولكنَّهم على أيِّ معصومٍ يعتمدون؟ يأخذون دينهم من أحاديث الصحابة الَّذين لا ندري من أين جاؤوا بها، حديثُ المخالفينَ الَّذي يُنسَبُ زُوراً إلى رسول الله، لا شأن لنا بهم، هُم أحرارٌ فيما يعتقدون، لكنَّهم يقولونَ من أنَّ توحيدهم بعيدٌ عن حدِّي التعطيل والتشبيه.
التوحيدُ البعيدُ عن حدي التعطيل والتشبيه هو التوحيدُ المأخوذُ فقط (فاء ، قاف ، طاء) فقط عن المعصوم.
وَلَكن لابُدَّ منَ الخُروج من جِهَة التَعْطيل وَالتَشْبيه لأنَّ مَن نَفَاهُ فَقَد أَنْكَرَهُ وَدَفَعَ رُبُوبِيَّتَهُ وَأَبْطَلَهُ - من نفاهُ؛ من نفى الوصف مطلقاً كما يفعلُ المعطِّلةُ، منَ نفاهُ؛ من نفى الكيف مُطلقاً، الَّذين يُثبتون وجودهُ ولا يُثبتون أوصافهُ.

وَمَن شَبَّهَهُ بِغَيْرِهِ فَقَد أَثْبَتَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ الْمَصْنُوعِيْنَ الَّذِيْنَ لَا يَسْتَحِقُّونَ الرُّبُوبِيّة - فهذا الَّذي شبّههُ أثبتهُ ولكن وصفهُ بهذه الأوصاف، وذاكَ الَّذي أثبتهُ ونفى عنهُ الأوصافَ فقد أنكرهُ، جزافاً يقولُ من أنَّهُ يعتقدُ بوجوده، كيفَ يعتقدُ بوجوده وليس لهُ من وصف؟!

الَّذِيْنَ لَا يَسْتَحِقُّونَ الرُّبُوبِيّة وَلَكن لابُدَّ من إثْبَات أنَّ لَهُ كَيفِيَّةً لَا يَسْتَحِقُّهَا غَيرُهُ، وَلَا يُشَارِكُ فِيهَا وَلَا يُحَاطُ بِهَا وَلَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ - فالإمامُ أثبتَ إنيّةً ومائيةً وكيفيةً أيضاً، ولكن بهذا الفهم، بهذا التصور، بهذا الاعتقاد، فالله لهُ إنيّةٌ، لهُ مائيةٌ، لهُ كيفيةٌ، بحسب ثقافة العترة الطاهرة، لا تخلطوا بينَ هذه المصطلحات وبينَ مصطلحات الفلاسفة المتكلّمين المناطقة العرفاء الصوفية، فليذهبوا بكُلِّ ما عندهم إلى الجحيم، أصابوا أم أخطأوا.

وَلَا يُحَاطُ بِهَا وَلَا يَعْلَمُهَا غَيرُهُ - مَن الَّذي يُخبرنا عنها؟ عن شؤونها؟ قطعاً بحدود اللغة القاصرة وبحدود مداركنا المحدودة الضيقة؟ الَّذي يُخبرنا عنها فقط فقط فقط مُحمّدٌ وآلُ مُحمّد وانتهينا.

قَالَ السَّائِلُ: فَيُعَانِي الأَشْيَاءَ بِنَفْسه؟ - المرادُ من المعاناة هو نحوُ التواصل، هل هناكَ من تواصلٍ فيما بينهُ سُبحانهُ وتعالى وبينَ الأشياء؟ - **فَيُعَانِي الأَشْيَاءَ بِنَفْسه؟ قَالَ أَبُو عَبْد الله** - إمامنا الصّادقُ - **هُوَ أَجَلُّ من أَنْ يُعَانِي الأَشْيَاءَ بِمُبَاشَرَة وَمُعَالَجَة، لأَنَّ ذَلكَ صفَةُ الْمَخْلُوق الَّذي لَا تَجِيءُ الأَشْيَاءُ لَهُ إِلَّا بِالْمُبَاشَرَة وَالْمُعَالَجَة، وَهُوَ مُتَعَالٍ نَافذُ الإِرَادَة وَالْمَشيئَة فَعَّالٌ لما يَشَاء** - نَفاذُ إرادته ومشيئته هَي فَي تجلي الحقيقة الـمُحَمَّديّة بكُلِّ ما أرادهُ سبحانهُ وتعالى، وكلُّ ما أرادهُ أن تجلّتَ كُلُّ أوصافه، كُلُّ أسمائه في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة الَّتي هي مَجمعُ أسمائه وصفاته، في أصلِ جوهرها.

والحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ لها وجهان:

- وجهٌ ظاهر منهُ ظهر الخلق.

- ووجهٌ باطنٌ ذلكَ هو الوجهُ المخزونُ المكنونُ الَّذي استقرّ في ظله فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، استقرّ في ظلِّ الخالق الَّذي خلق الحقيقة الـمُحَمّديّة، إنَّهُ الوصفُ الَّذي يَرِدُ في الأدعية الشريفة عن الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأعزِّ الأجلِّ الأكرم الَّذي خلقهُ سُبحانهُ وتعالى فاستقرّ في ظلِّه فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، هذا هو الوجهُ المكنونُ المصونُ المخزونُ الَّذي لا نجدُ عبارةً تُشيرُ إليه من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.

أمَّا الوجهُ الظاهرُ إلى الخلق ومنهُ تجلّت الأسماء الحسنى: فذلكَ الوجه الَّذي أشرقت كُلُّ الأسماءِ الحُسنى منه الَّتي هي منابعُ تحقُّقِ الأشياءِ في هذا الوجود.

لا زِلتُ أقرأ عليكم من أحاديثهم الشريفة من المصدرِ نفسه من الجزء الأوَّل من (الكافي الشريف) وتحديداً: من كتاب التوحيد، بابٌ مهمٌ عنوانهُ: (بابُ النَّهي عن الكلام في الكيفية)؛ في كيفية الله سبحانهُ وتعالى، صفحة (١١٤)، الحديث الأول: **عَن أَبِي بَصير، قَالَ، قَالَ أَبُو جَعفَر** - إمامنا الباقر صلواتُ الله عليه - **تَكَلَّمُوْا فِي خَلقِ الله وَ لَا تَتَكَلَّمُوْا فِي الله، فَإِنَّ الكَلامَ فِي الله لَا يَزْدَادُ صَاحِبُهُ إِلَّا تَحيراً** - وهذا التحيّر هو تَحيّر الجهل.

هناكَ تَحيّرٌ المعرفة؛ هذا الَّذي تتحدَّثُ عنهُ الأدعيةُ والمناجيات وسنأتي عليه..

الباقرُ يقول: **تَكَلَّمُوْا فِي خَلقِ الله** - خلقُ الله مَن؟ أنا وأنتم؟! يمكن لنا أن نتكلَّم عن أنفسنا فنحنُ من خلقه، لكن المصداق الأوَّل الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة، وما تجلَّى منهم في مُحَمَّد وعليٍّ وفَاطمَة وأبناء فَاطمَة من المجتبى إلى القائم، إنَّما أذكرهم بهذه الطريقة كَي أُذكِّركم بإمامة فَاطمَة.

تَكَلَّمُوْا فِي خَلقِ الله وَلَا تَتَكَلَّمُوْا فِي الله - فهذا التركيزُ في برامج قناة القمر الفضائيّة في الحديث دائماً عن الحقيقة الـمُحَمَّديَّة وعن مُحَمَّدٍ وعليٍّ وفَاطمَة وأبناء فَاطمَة من المجتبى إلى القائم هو التزامٌ بثقافة العترة الطاهرة، عرفتم الآن أو لا؟!

تَكَلَّمُوْا فِي خَلقِ اللهَ وَلَا تَتَكَلَّمُوْا فِي الله، فَإِنَّ الكَلامَ فِي الله لَا يَزْدَادُ صَاحِبُهُ إِلَّا تَحيراً - هذا تَحيّر الجهل، أمَّا تَحيّر المعرفة فهو مطلوبٌ وهوَ من أجمل ما يستطيعُ الإنسان أن يصل إليه، ما يُعبّر عنهُ في تعابيرهم (بحلاوة الإيمان)، ما يعبّر عنهُ (بحلاوة الذكر)، مثلما نذكرُ في الأدعية في أوصافه سبحانهُ وتعالى: (يا حلوَ الذِّكْر) فهو حلوُ الذكر، حلاوة الذكر، حلاوةُ الإيمان، لذيذُ المناجاة، أُنسُ المناجاة، هذا هوَ التحيُّر الممدوح، تلكَ حيرةٌ ثانية نأتي على ذكرها..

الحديثُ الثاني: **بسنده، عَن سُلَيْمَان بنِ خَالد، قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **"وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى"** - وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى؛ كلامُ القرآنِ هذا، ماذا قال الصَّادقُ في تأويلِ ما نَطقَ به القُرآن؟ الصَّادقُ هكذا قال: **فَإِذَا انْتَهَى الكَلامُ إِلَى الله فَأَمْسكُوْا** - إلَّا إذا دخلنا من بابِ معرفته م والَّذي سيقودنا إلى حيرة المعرفة، وإلى أنس العشق، وإلى لذَّة المناجاة، وحلاوة الإيمان، ذلك شأنٌ آخر، هذا شأنٌ يتذوَّقهُ أهله، لا أتحدَّثُ عن أوهام الصوفية وعُرفاء الشيعة، هؤلاء يعيشون في أوهامهم وخيالاتهم، إنَّني أتحدَّثُ عن حقائقِ هذه المعاني في ضَوء الثقافة العقائدية المنضبطة بمضمون بيعة الغدير، وبقواعد الفهم العلويّ..

الحديثُ الثالث: **عن مُحَمَّد بن مسلم، قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **يَا مُحَمَّد** - يُخاطبُ مُحمّدَ بن مسلم الطائفي، من الطائف - **يَا مُحَمَّد، إِنَّ النَّاس لَا يَزَالُ بِهم المنطق** - يتكلَّمون، يتكلَّمونَ في كُلِّ شيء هذا هو المراد - **يَا مُحَمّد** - لأنَّ النَّاس يحبون الكلام ويتكلَّمون في كُلِّ شيء وفي أغلبِ الأحيان يتكلَّمون في الأمور الَّتي لا يُدركون حقائقها، يقولون أيَّ شيء - **يَا مُحَمّد، إِنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُ بِهِمُ المنطق حَتَّى يَتَكَلَّمُوْا فِي الله، فَإِذَا سَمعْتُم ذَلك** - سمعتم النَّاس يتحدَّثون عن الله بحسبِ هُرائهم،

فَإِذَا سَمعْتُم ذَلك فَقُولُوْا لَا إِلَهَ إِلَّا الله الوَاحدُ الَّذي لَيْسَ كَمثله شَيء - لا تُنصتوا إلى أقوال هؤلاء، ولا إلى أقوال الفلاسفة ولا إلى أقوال مراجع النَّجف الَّذين لا يعرفونَ شيئاً عن الله وفقاً لثقافة العترة الطاهرة، ما عندهم من معرفة عن الله إنَّها معرفةُ النَّواصب، إنَّها معرفةُ الأشاعرة والمعتزلة.

الحديثُ الخامس: **بسنده، عَن الحُسينِ بنِ المياح عن أبيه، قَالَ: سَمعْتُ أَبَا عَبْد الله** - إنَّهُ إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **يَقُول: مَن نَظَرَ فِي الله كَيْفَ هُوَ هَلَك** - هُوَ الَّذي نَظَرَ بحدود عقله، أمَّا إذا كَانَ الكلامُ عن المعصوم فذلكَ شيءٌ آخر، إنَّنا نأخذُ من الجهة الَّتي تعرفُ الله، اعرفوا قدرَ أئمَّتكم، لا تقارنوا فيما بينهم وبينَ غيرهم.

الحديثُ السابع، صفحة (١١٦): **عن مُحمَّد بن مُسلم، عَن إِمَامنا البَاقِرِ صَلواتُ الله وسلامهُ عَلَيه: إِيَّاكُم، إِيَّاكُم وَالتَفَكُّرَ فِي الله** - والتَفَكُّرَ في الله في كُنهه، في أن نصفهُ بحدود مداركنا، فحينما نتفكَّر فإنَّنا نضعُ المفردات من داخل إدراكنا، بحدود قدرتنا المعرفية والإدراكية، علينا أن نعرف الله من مُحمَّد وآل مُحمَّد، لا أن نعرف الله من خلال عقولنا، الباقرُ يقول: **إِيَّاكُم وَالتَفَكُّرَ فِي الله وَلَكن إِذَا أَردتُم أَن تَنظُروْا إِلَى عَظمَته فَانْظُروْا إِلَى عَظِيْمِ خَلْقه** - فأعظمُ خلقه الحقيقة المُحمَّديَّة، ونحنُ لا نُدركُ عظمتها، لكنَّ عظمتها تتجلَّى لنا فِي الَّذي يظهر لنا، فما في مُحمَّد وآلِ مُحمَّد الَّذين هُم أئمَّتُنا وسادتنا؛ مُحمَّدٌ، عليٌّ، فَاطمَة، أبناءُ فَاطمَة من المجتبى إلى القائم، هؤلاء هُم أئمَّتُنا وسادتنا، ما يتجلَّى لنا منهم بحسبنا، نحنُ نرى الوجه الجليَ لهم الَّذي هو بينَ أظهُرنا، أمّا الوجهُ الخفيَ لهم والَّذي هو بينَ أظهُرنا أيضاً نحنُ لا نُدركه، وإنَّما نُعلن من أنَّنا نؤمنُ بظاهرهم وباطنهم، نؤمنُ بسرهم وعلانيتهم، الَّذي يظهرُ لنا كُلُّ ما في الزيارة الجامعة الكبيرة برغم عظمة محتواه وفحواه هو في الوجه الظاهر لنا، أمّا في الوجه الباطنِ عنَّا فذلك لا نستطيعُ أن نصلَ إليه، ربّما في زمانِ الظهور الشريف إذا ما تطورت العقولُ فإنَّ الإمامَ يضعُ يدهُ على رؤوس الخلائقِ كي يجمع العقولَ، كي تترقَّى هذه العقول، قطعاً لن تترقى كُلُّ العقول بدرجة واحدة، وإنَّما كُلُّ عقلٍ بحسبه، فالعقلُ الَّذي كانَ في زمان الغيبة على سبيل المثال بمستوى خمسة بالمئة لا يعني أنَّهُ سيرتقي إلى ثمانين بالمئة، لا يمكنُ هذا! لأنَّ الفيض سيكونُ بقدرِ الوعاء، فسيرتقي إلى عشرة بالمئة، والَّذي هو في مستوى ثمانين بالمئة قد يرتقي إلى تسعين بالمئة، إلى مئة بالمئة، كُلٌّ بحسبه، هناك حالةُ ترقٍ في العقول زمن الظهور، ربَّما في تلك الحالة سنُدركُ إشاراتٍ ورموزاً في طوايا نص الزيارة الجامعة الكبيرة وأمثالها كي نتلمَّس ونتحسَّس ولو من بعيدٍ شيئاً من وجههم الباطن.

من نفس المصدر من الجزء الأوّل من (الكافي الشريف) ومن كتابِ التوحيد، صفحة (١٠٨)، البابُ الَّذي عنوانهُ (بابُ أدنى المعرفة)، أدنى المعرفة في العقيدة التوحيدية، الحديثُ الأوَّل: **بسنده، عَن الفَتح بنِ يَزيد، عَن أَبي الحَسَنِ** - إنَّهُ إمامنا الكاظمُ صلواتُ الله عليه - **قَالَ: سَأَلتُهُ** - الفتح بنُ يزيد يسألُ الإمام الكاظم - **قَالَ: سَأَلتُه عَن أَدْنَىَ الْمَعْرِفَة؟** - عن أدنى المعرفة في العقيدة التوحيدية - **فَقَال** - قال إمامنا الكاظمُ صلواتُ الله عليه - **الإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلَه غَيرُه وَلَا شبْهَ لَهُ وَلَا نَظِيْر وَأَنَّهُ قَدِيْمٌ مُثْبَت** - مُثبت - **مَوجُودٌ غَيْرُ فَقِيْد وَأَنَّهُ لَيسَ كَمِثله شَيء** - هذه الجملُ تختصرُ كُلَّ الحديث الَّذي مرّ علينا، فكُلُّ الَّذي مرّ علينا هو أدنى المعرفة التوحيدية، أعلى المراتب التوحيدية لا تُكتسبُ من خلال الأقوال والدراسة والتدريس، إنَّما تُكتسب من خلال المعرفة العميقة بمُحمَّد وآل مُحمَّد الَّتي تفتحُ لنا أبوابَ معرفة الله، عرفتم الآن لماذا كُلُّ هذا الإصرار على معرفة إمام زماننا، ولماذا الأحاديثُ تقول من أنَّ معرفة الله هي معرفةُ إمامِ زماننا، عرفتم؟! كُلُّ الَّذي تحدَّثتُ عنه ولو بقيت أحدِّثكم، كُلُّ خُطَبِ التوحيد الَّتي وردت عن سيّد الأوصياء، كُلُّ ما جاء عنهم في خُطبِ التوحيد في مستوى الركن الأوَّل من أركانِ عقيدة التوحيد، التوحيدُ فيما فوق الحقيقة المُحمّديّة هو أدنى مستوى المعرفة التوحيدية، لماذا؟ لأنَّ المعرفة التوحيدية لا تُدرَكُ بالتلقين، ولا تُدرَكُ بالتدريس، وإنَّما تُدرَكُ بعد أن يتذوَّق المؤمنُ حلاوة معرفة إمام زمانه تُفتحُ لهُ آفاقُ الإيمان، ذلكَ هو التوحيدُ الحقيقي، وكُلُّ الَّذي نتحدَّثُ عنه هو عبارةٌ عن تدريبٍ، عن مُقدِّمات في معرفة عقيدة التوحيد الَّتي يريدها منَّا مُحمَّد وآل مُحمَّد، أدعيتهم كُلُّها تشيرُ إلى هذه الحقيقة الَّتي أشرت إليها.

الحديثُ الثالث، من نفس الباب: **بسنده، عَن إبراهيم بنِ عُمر، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **يَقُول** - كلمةٌ جميلةٌ جِدَّاً - **يَقُول: إِنَّ أَمْرَ الله كُلَّهُ عَجِيْب** - نحنُ نقرأُ في أدعيتهم في دعاء الجوشن: (**يَا مَن فِي البَحرِ عَجَائِبُه**)، عَجائبَ الله تتجلَّى لنا في أدنى مخلوقاته، فكيف سيكونُ العجبُ من أمره سبحانهُ وتعالى والَّذي يُحدِّثنا عنهُ الصَّادقُ المصدَّقُ جعفر صلواتُ الله عليه؟

يَقُول: إِنَّ أَمْرَ الله كُلَّهُ عَجِيْب، إِلَّا أَنَّهُ قَد احْتَجَّ عَلَيْكُم بِمَا قَدْ عَرَّفَكُم مِنْ نَفْسه - عرَّفنا من نفسه من خلال مُحمَّد وآل مُحمَّد، يعني أنَّ العقول، أنَّ المدارك لن تستطيع الوصول إلى إدراك أمره، أمرهُ عجيب، عجيبٌ فوق العقول والقلوب، (وَلَوْلَانَا - هَم يَقولونَ - مَا عُرِفَ الله، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ الله، بِمعرِفَتنا عُرِفَ الله، بِعبَادَتنَا عُبِدَ اللهَ، وَلَوْلَانَا مَا عُرِفَ الله)، ومن عرفهم فقد عرفَ الله، ومن أنكرهم فقد أنكرَ الله، ومن عَلمَهُم فقد عَلمَ الله، ومن جَهلَهم فقد جَهلَ اللَه، ومَن أحبَهُم فقد أحبَ الله، ومن أبغضهم فقد أبغضَ الله، ومن أطاعهُم فقد أطاعَ الله، ومن عصَاهُم فقد عصَا الله، مضمونُ بيعة الغدير: (اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاه وَعَادِ مَنْ عَادَاه)، أيَّةُ بيعة هذه تُحاصرنا في كُلِّ الجهات، تُحاصرنا ظاهراً وباطناً، تُحاصرنا في عقولنا وفي قلوبنا وفي عواطفنا وفي تفاصيلِ ديننا، في كُلِّ شيء تُحاصرنا هذه البيعة، عرفتم الآن لماذا يُخاطبُ القُرآن رسول الله: ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ هذه هي بيعةُ الغدير.

مناجاةُ العارفين، أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان) إنَّهُ الكتابُ المتوفرُ في بيوتكم، المناجاةُ المرويةُ عن إمامنا السجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ماذا تقولُ مناجاةُ العارفين؟

إِلَهِي قَصُرَت الأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنَائك كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالك، وَعَجَزَت العُقُولُ عَنْ إِدْرَاك كُنْه جَمَالك، وَانْحَسَرَت الأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبُحَات وَجْهِك - السُبحاتُ هي العلائم والشوارقُ، السبحاتُ هي العلاماتُ الَّتي أشارَ إليها دعاء شهرِ رجب، **وَلَم تَجْعَل لِلْخَلقِ طَرِيقَاً إِلَى مَعْرِفَتك إِلَّا بِالْعَجزِ عَنْ مَعْرِفَتك** - هل تتصوّرون أنَّ الدعاء الشريف وأنَّ المناجاة تتحدَّثُ عن جهلٍ بمعرفة الله وتعد ذلكَ معرفةً؟ العجزُ عن المعرفة بعد التعمق في المعرفة، وإلَّا فمجردُ عجزِ الإنسانِ عن معرفة الله ابتداء هذا جهلٌ بالله، هذا ما هو عجزٌ عن معرفته، إنَّما العجزُ عن معرفته بعد التعمُّقِ في معرفته، التعمُّقُ أين؟ التعمُّقُ في معرفة ما تجلَّى من عظمته في أعظمِ مخلوقاته في الحقيقة المُحمَّديَّة الَّتي هي أيضاً جُعلَ الطريقُ إلى معرفتها بالعجزِ عن معرفتها، وإنَّما المعرفةُ معرفةُ إمامِ زماننا، من هنا فإنَّ معرفة الإمامِ هي مدارُ الدِّينِ، وهي مدارُ التوحيد، وهي معرفةُ الله، معرفةُ إمامِ زماننا هي معرفةُ الله.

وَلَم تَجعَل لِلْخَلقِ طَرِيقَاً إِلَى مَعْرِفَتك إِلَّا بِالْعَجزِ عَنْ مَعْرِفَتك - بعد أن نتعمَّق في المعرفة وأن نتعمَّق بعيداً وبعيداً جِدَّاً حتَّى نصل إلى العجزِ عن معرفته، هذه بالضبط كقولةِ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله: (نِصفُ العلمِ قَولُ لا أعلم)، فهذا لا يعني أنَّ جاهلاً إذا ما سُئل عن مسألةٍ وهو جاهلٌ

فقال إنِّي لا أعلم فقد نال نصفَ العلم! أيَّ كلامٍ هذا، نصفُ العلم قولُ لا أعلم بعد أن يتعمَّق العالـمُ، بعدَ أن يُصبح موسوعةً هائلةً يُدركُ حينئذ من أنَّهُ ليس بعـالـمٍ وما عنده من علمٍ لا قيمة لهُ، وهنا فإنَّهُ سيقولُ إنِّي لا أعلم، هذا هو نصفُ العلم، هذه الخطوةُ الأولى فقد نال التواضع كيَ يُحصِّل الحكمة، فهذا التواضع عنوانُ الإخلاص، لن يكون متواضعاً حقيقةً في فناء مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ما لم يكن مُخلصاً لهم، وإذا أخلصَ العبدُ أربعين صباحاً أخلصَ لله، أخلص لإمامِ زمانه، أنصارُ الحُسينِ نالوْا ما نالوْا لماذا؟ لأنَّهم أخلصوا للحُسينِ صَلواتُ الله عليه، حين أخلصوا للحُسينِ فإنَّهم قد أخلصوْا لله، أوضحُ مصداقٍ لأفضلِ الشيعة من أمثالنا، فأنصارُ الحُسينِ من أمثا لنا، أنَّهم شيعةٌ، نالوْا ما نالوْا من المراتبِ بسببِ إخلاصهم للحُسين، فمن أخلص لله؛ من أخلص لإمامِ زمانه، هذا الإخلاصُ يتحقَّقُ بعد التواضع، وهذا التواضعُ إنَّما يتحقَّقُ في مثلِ هذه القلوب حينئذٍ تتفجَّرُ ينابيعُ الحكمة من القُلوبِ على الألسنة، قارنوْا بينَ هذه الحقائق وبينَ هذا البلاء الأعظم الموجود في النَّجف الجاثم على صدورنا.

أعودُ إلَى مناجاة العارفين: **إِلَهِي، إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِيْنَ تَرَسَّخَت أَشْجَارُ الشَّوقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِم وَأَخَذَت لَوعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِم، فَهُم إِلَى أَوْكَارِ الأَفْكَارِ يَأْوُون** - أيَّةُ أفكارٍ؟! (أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، أَلَا لَا خَيرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ) هذا منطقُ علي صلواتُ الله عليه - **فَهُم إِلَى أَوْكَارِ الأَفْكَارِ يَأْوُونَ، وَفِي رِيَاضِ القُرْبِ وَالْمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُون، وَمِن حِيَاضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأسِ الْمُلَاطَفَةِ يَكْرَعُون، وَشَرَايِعَ الْمُصَافَاةِ يَرِدُون** - هذه هي العيونُ الصافية الَّتي لا زوالَ لها و لا انقطاع، إنَّها في جهةٍ بعيدةٍ عن العُيونِ الكدرةِ الَّتي كرعتم فيها أنتم ومراجعكم، وأنا معكم أيضاً، لقد كرعنا جميعاً، كرعنا جميعاً في عيون القذارة والنجاسة الَّتي يكرعُ فيها مراجع النَّجف إلى هذه اللحظة، نجَّسوا أنفسهم ونجّسوا دينهم ونجّسوا عقائدهم ونجَّسونا معهم، ومن نجاسة إلى ما هو أنجس يوماً بعد يوم.

قَد كُشفَ الغِطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِم - هذه هي البصيرةُ الَّتي حدَّثتكم عنها - **قَد كُشفَ الغِطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِم وَانْجَلَت ظُلْمَةُ الرَّيْبِ عَنْ عَقَائِدِهِم وَضَمَائِرِهِم** - هذا هو الَّذي قَصدتهُ من أنَّ العقائد لا تُدرَكُ بالتدريس والتعليم، التدريسُ والتعليمُ مُقدِّمةٌ إنَّما أن نَرِدَ العيونَ الصافيةَ لمعرفةِ إمامِ زماننا، من هناكَ تُفتحُ لنا الأبواب، بعيداً بعيداً عن كُتب العقائد وعلم الكلامِ الَّتي تُدرَّس في النَّجف، إنَّها كُتبُ الضلال بعينه بعينه، كُتبُ ضلالٍ تتناقضُ بدرجة مئة بالمئة معَ هذا المنطق، هذا هو منطقُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد في كُلِّ أدعيتهم، في كُلِّ أدعيتهم، في كُلِّ زياراتهم، في كُلِّ قرآنهم من أولِ حرفٍ فيه إلى آخرِ حرفٍ فيه، في كُلِّ رواياتهم، هذا المنطقُ منطقٌ مُتناقضٌ بدرجةِ مئة بالمئة معَ الَّذي يُدرَّسُ في النَّجف ويُعلَّمُ في النَّجف.